يعرضون شققهم للبيع هرباً من مشكلات (ليس) لها حل!

سكنة مجمع الحبيبية تحاصرهم بحيرات المياه الآسنة منذ ١٠ أعوام!

احمد السعداوي
تصوير:سمير هادي

للذي يبحث عن شقة للبيع يمكنه الذهاب الى مجمع العمارات السكنية في الحبيبية حيث سيجد العشرات من الشقق وقد كتب على جدرانها (شقة للبيع) ولكنه ان تحرى عن اسباب رغبة اصحاب هذه الشقة في بيعها لن تعجبه الاجابة، فهذا المجمع السكني الذي يحتوي على ألف شقة كان في منتصف الثمانينيات مكاناً للسكن العصري، ونموذجاً للنظافة والتناسق مابين البنايات وساحات لعب الاطفال والمساحات الخضراء لكنه يبدو لمن ينظر اليه الان اشبه بمقلع للنفايات ومكاناً لأزمة مياه طافحة عسيرة على الحل، وفوق هذا وذاك بؤرة لأوبئة مازالت تصيب سكان المجمع والاطفال منهم بالذات.

اليأس يسيطر على الناس هنا، لذا ليس امام بعضهم من حلول سوى عرض شققهم للبيع.

-الكبد الفايروسي والجدري المائي يفتكان بالعوائل، وبلدية (٩نيسان) تتحجج بان آلياتها عاطلة برغم صلاحيتها!

جزيرة كونكريتية

مشهد مثير لحاوية ازبال فارغة ونظيفة داخل المجمع برغم ان الازبال تملأ كل زاوية فيه، لكن هذه الحاوية النظيفة عزلت نفسها بمحيط من الماء الآسن، وغدت اشبه بجزيرة كونكريتية وسط بحيرة كبيرة.

المدرسة المجاورة لهذه البحيرة أشبه بهور ضحل بسبب المياه الآسنة ايضاً، الاساتذة وضعوا احجاراً لمرور الطلبة، والعفن الاخضر يغطي هذه المسطحات المائية بما يؤكد عمرها الطويل، لكن الماء الآسن يستمر في التوسع مع اتساع خطواتنا داخل المجمع، فهو يحيط بالعمارات ويستعمر الساحات المتروكة، هناك تلال من التراب تغطي الاسفلت المختفي تحت الماء، نعبر على هذه التلال لعدم وجود ممر آخر، قصب ونباتات وحشائش متطاولة واطفال يلعبون في هذا المشهد.. أزبال متناثرة وجدران مشبعة بالرطوبة.. و (شقة للبيع.. شقة للبيع) تجابهك في كل مكان.

(امانة بغداد لم تفعل لنا شيئاً)

يقول ابو كرار العبودي احد سكنة المجمع جواباً على سؤالي له عما تقدمه الاجهزة الخدمية لهذا المجمع، ويضيف ان عمال التنظيف يأتون في الشهر مرة لجمع النفايات، فنقوم لهم (بالصلوات) ونغديهم ونعطيهم نقوداً.. ولكنهم لايتمون عملهم كما يجب، وسرعان مايغادرون ليغيبوا غيبة طويلة.

يقول ابو كرار بفتور ويأس: لقد مللنا ياأخي من المراجعات.. لاأحد يريد مساعدتنا.. لااحد يكترث للناس في هذا البلد!

مشكلة مزمنة

سألنا عن مختار المجمع فقادنا أحدالشباب الى حسينية تتوسط المجمع السكني، وهناك التقينا السيد جبار كاطع أمين شقق الحبيبية الذي أوجز لنا المشاكل التي يعانون منها، قائلاً:

شقق مجمع الحبيبية السكني انجزت من قبل شركة فرنسية في حدود عام ١٩٨٤ وبمواصفات حديثة، لكن حال هذا المجمع تدهور منذ ١٩٩١، اذ انقطعت الخدمات ومشكلة المجاري والمياه الآسنه مشكلة قديمة وليست وليدة اليوم، ولكنها متفاقمة الان خصوصاً مع بروز الامراض بين العوائل.

والمشكلة تزداد تعقيداً مع حلول فصل الشتاء إذ يغادر اصحاب الشقق الارضية مساكنهم لدخول المياه اليهم.

ويقول السيد جبار كاطع: ان مراجعاتهم للامانة لم تنفع بشيء اذ تتحجج (الأمانة) بعدم وجود السيارات الصاروخية التي تسلك المجاري.. واعتمد سكان المجمع ولفترة طويلة في تسليك المجاري على العمال الذين يستقدمونهم بأجرة.. ويستخدمون ادوات ووسائل بسيطة في عملهم الى ان حدثت كارثة قبل أشهر.. حيث مات عاملان احدهما مصري الجنسية داخل المنهول الرئيس اثناء عملها خنقاً بالغازات، وتوقف الناس بعدها عن عمل اي شيء لحل هذه المشكلة المزمنة.

ذمة وضمير

ويخبرنا الشيخ ابو محمد السوداني إمام جامع وحسينية شقق الحبيبية انه ذهب، ولاكثر من مرة مع عدد من رجال المنطقة الى بلدية ٩نيسان للمطالبة بسيارة صاروخية تعالج مشكلة المجاري ولكن البلدية كانت ترد في كل مرة بالقول انها (الآليات).

لكن المفارقة-يقول الشيخ أبو محمد: أننا حين اخبرنا الاميركان بالموضوع سارعوا لاخراج سيارة صاروخية لنا ومن البلدية نفسها وتبين لنا بالملموس ان السيارات غير عاطلة!.

وهنا يتأسف الشيخ ابو محمد للحال الذي وصل اليها بعض العاملين في الدوائر الخدمية ويتساءل: أليس المفروض ان يكون ابن البلد اكثر حرصاً من المحتل والاجنبي على خدمة أبناء بلده.

الشيخ السوداني أخبرنا أيضا ان مكتب الشهيد الصدر قدم خدمات كثيرة للمجمع، فقد استطاع توفير الغاز للناس هنا، وكذلك قام افراده باكثر من حملة تنظيف.. خصوصاً في المدارس الأربع في المجمع وقد حصلوا على كتب شكر من ادارات هذه المدارس برغم ان هذا يقع في صميم واجب الدوائر الخدمية التي لا تقوم بعملها حسبما يجب.

(اننا نريد الذمة والضمير.. في خدمة هؤلاء الناس، واتمنى ان تسمع الجهات المسؤولة صوتي لانتشال هذا المجمع من حاله المزرية).

مدارس تعاني وأفواه مكممة

مدرسة ثانوية للبنات وثلاث مدارس ابتدائية في مجمع الحبيبية السكني كانت لها حصة من ازمات المجتمع ولكن الملاكات التدريسية فيها رفضت الحديث معنا عن هذه الازمات بحجة ان وزارة التربية منعت المدارس كلها من استقبال الصحفيين والحديث معهم، قلنا لهم: اننا نريد التحدث عن المشاكل الخدمية لهذه المدارس وليس لنا علاقة بقضايا التدريس او وزارة التربية كلها، لكنهم قالوا: ومن وراء السياج المدرسي- بأنهم يخشون العقوبات الادارية وقطع الراتب.

·ومن سيسمع كلامكم حتى لو ملأتم الجرائد كلها عن مشاكلنا؟) قالت احدى المعلمات ذلك، مضيفة سبباً آخر للامتناع عن الحديث، وتركت تصريحها هذا دون توقيع باسم معين.

ومع يأسنا من الدخول الى هذه المدارس التي تعاني مشكلة الماء الآسن وطفح المجاري.. بدا لنا الامر بالغ الغرابة.. فما هو مغزى اوامر كهذه؟ لماذا تسجن وزارة التربية منتسبيها في صمت مطبق؟ مم تخاف؟ ولماذا نتشدق بالحرية والديمقراطية أذن؟

ولكن هذا موضوع طويل يبعدنا عن المشكلة التي بين يدينا، ثم ان معلم التربية الاسلامية في مدرسة الفاروق الابتدائية ستار احمد ابراهيم تحدث معنا باستفاضة حين التقيناه بباب المدرسة وقادنا الى شقته الارضية القريبة من المدرسة والمرشحة حسب قوله للفيضان بالمياه الاسنة خلال هذا الشتاء.

بيت فوق منهول!

يقول الاستاذ ستار: ان مياه المجاري تنز من أرضية الصفوف والقاعات ومخزن الكتب على الدوام والمشكلة هذه إضافة الى بحيرات الماء الآسن في الساحات وحول المدرسة مشكلة مزمنة تعود الى بداية التسعينيات ولقد اضطررنا لتوزيع طلبتنا في احيان كثيرة على مدارس اخرى حين تفيض القاعات والصفوف ويغدو من المستحيل القيام بعملنا في هذا الوضع.

ولقد اضطررنا، كمثال على ذلك، الى الدوام في مدرسة النجاة بعد الظهر لسنة كاملة، وهجرنا بناية هذه المدرسة. لقد رفعنا عدة كتب الى وزارة التربية بهذا الصدد قبل سقوط النظام وبعده، ولكن الاجراءات الروتينية مابين وزارة التربية وامانة بغداد لاتوصلنا الى نتيجة، وآخر كتاب رفعناه.. همش المدير العالم في أمانة بغداد عليه بعبارة (تعالج المشكلة فوراً.. ويعاقب الموظف بشدة في حال المخالفة) ولكن لم يحصل شيء فقد وصلنا الى الموظف فكان جوابه: ان المنهول الرئيس الذي يمكن ان تعالج المشكلة منه بنى عليه (جماعة الحواسم) بيتاً ولانستطيع لذلك فتح هذا المنهول!!

هذه هي الواقعية السحرية التي ابدع فيها روائيو اميركا اللاتينية اعتماداً على مخيلاتهم الخصبة، ولكن عندنا لايتطلب الامر خيالاً ولاهم يحزنون.. المطلوب التجوال فقط في احياء بغداد وضواحيها وتسجيل وقائع لاتحصى، ولايجمع بينها سوى انها وقائع أغرب من الخيال! ومن اراد زيادة في التغريب فعليه ان يتجول في المحافظات الجنوبية على وجه التحديد!!

تلاميذ وأمراض

ويسترسل الاستاذ ستار قائلاً: ان التلاميذ يأتون الى الدوام بصعوبة لان الباب الرئيس لمدرستنا (مدرسة الفاروق الابتدائية) مطوق بالمياه الاسنة ولذا فهو عملياً ملغى، وقد هدمنا جزءاً من سياج المدرسة لعبور الطلبة والملاك التدريسي واذا زرت المدرسة ستجد ان العفن الاخضر يغطي المسطحات المائية القذرة في كل مكان، وقد سقط عدد من التلاميذ في هذا الماء وعلق العفن الاخضر بوجوههم ودخل في عيونهم، وخلال الموسم الدراسي السابق.. زادت الاصابة بالجدري المائي في المدرسة لتشمل اكثر من نصف عدد التلاميذ، وكذلك اصيب ربعهم تقريباً بمرض (أبو صفار) وكذلك عدد من المعلمين في المدرسة وهذه ليست مشكلة مدرسة الفاروق فحال مدرسة مسلم أبن عقيل مشابهة والمياه الآسنة تغطيها تماماً.

ومايزيد الوضع سوءاً-يقول الاستاذ ستار: ان المرافق الصحية في المدرسة ملغاة بسبب عدم وجود الماء او المجاري، لذا يضطر التلاميذ للذهاب الى منازلهم لقضاء الحاجة والعودة الى المدرسة.

وفوق هذا وذاك فان الرائحة العفنة لاتغادرك على مدار الساعة يقول الاستاذ ستار ذلك ويطلب مني ان اثبت الجملة التالية واؤكد عليها ان التلميذ القادم الى هذه المدرسة للتعلم يتحول في واقع الحال من حضن امه الى حضن (الخيسة)!!

OK!

اضافة الى ماذكره الاستاذ ستار احمد علمنا ان سكان المجمع في ذهابهم وعودتهم من السوق يمرون بساحة المدرسة للفرار من الماء الآسن... ويتخذون من فتحات في السياج ممرات لذهابهم وايابهم. وهذا مايضعف الجانب الامني في المدرسة، كما ان الكثير من الطلبة يتغيب عن المدرسة في موسم الامطار.

وقبل ان نغادر الاستاذ أخبرنا ان شركة بكتل الشهيرة جاءت الى المدرسة من اجل انشاء الكهربائيات وتسليك المجاري، لكنهم انجزوا الكهربائيات فقط وصبغوا المدرسة وحين طلبنا منهم انشاء (بالوعة) على الاقل للمرافق الصحية ماطلوا في الموضوع.. وتركوا مشكلة المجاري على حالها.. ثم كتبوا (Ok)على الباب المكسور للمدرسة دلالة على انهم انجزوا عملهم ثم غادروا.

مياه غير صالحة للشرب

وفي مشكلة المجاري نفسها قال المواطن عباس حسين الموسوي: ان سكنة المنطقة راجعوا الامانة وبلدية ٩نيسان من اجل سحب الماء الآسن وقال المسؤولون فيها انهم ينوون القيام بهذا المشروع لسحب المياه من المجمع بمحركات سحب خارجية ودفعها الى مجاري قطاع (ه ه أ) المجاور.. لكنهم في النهاية اخبرونا بان الامر متوقف على ساحة كرة القدم التي يريدون انشاء المشروع عليها، التي يرفض اصحابها حتى الان استخراج الملعب، كذلك فان مجاري قطاع (ه ه أ) هي ايضاً مسدودة وتقذف بمياهها الآسنة نحو المجمع السكني!.

مشكلة المجاري ترتبط بمشكلة اخرى اخطر، هي قضية مياه الشرب، فالانبوب الرئيس الذي يخرج من محطة الضخ في المجمع الى الشقق يمر عبر المياه الثقيلة وحين نقول المياه الثقيلة فلا نعني بها مياه الغسل فقط وهذا الانبوب الرئيس يعاني التآكل والتكسرات في أكثر من موضع لذا تدخل المياه الثقيلة دائما الى الانبوب وتلوث مياه الشرب.

ويخبرنا الحاج عبد الامير جلوب ان تقارير المختبرات التي اخذوا اليها بعينات من هذا الماء، تثبت بأنه ماء ملوث وغير صالح للشرب.

ومايؤكد كلام الحاج عبد الامير اننا شاهدنا داخل بناية المضخة عدداً من سكان المجمع وهم يحملون الاواني لملئها من الخزان الرئيس مباشرة لانه لم يتلوث بعد، واخبرونا بانهم ياخذون بهذه الطريقة مايكفيهم للطبخ والشرب في الاقل.

ويخبرنا الحاج عبد الامير ان مستشفى الحميات في الزعفرانية شهد خلال الفترة الماضية دخول عوائل كاملة من المجمع بسبب مرض الكبد الفايروسي الذي سببته المياه الملوثة!.

والملاحظ ان المضخة لاتضخ للناس سوى ساعتين في اليوم.. في الصباح وفي المساء، وحين سألنا حارس المضخة قال: ان ذلك لاجل المجاري!!

وبرر كلامه بالقول: اننا لو نضخ على مدار الساعة فسيكون استهلاك الماء اكثر وتتفاقم مشكلة المجاري اكثر مما هي عليه الان ثم ان امكانية الخزان لاتتحمل الضخ على مدار الساعة.. ذلك ان الدفع الذي يأتينا من مصفى ٩نسيان غير كاف.

وعند هذه النقطة نكرر الكليشة المملة والرتيبة.. فهناك مراجعات كثيرة لتنقية المياه.. واصلاح الانبوب الرئيس ولكن دون فائدة!

ولكن..

ماالذي تبقى لنا قبل الخروج من مجمع الحبيبية السكني؟

اشياء كثيرة ليس اقلها الجرذان التي تروح وتغدو بكثافة في بيئة بدت طبيعية لتكاثرها، والناس هم (المتطفلون!) عليها.

ليس اقلها ان الرطوبة العالية بسبب المسطحات المائية حول الشقق تزيد من نسبة الامراض كذلك، فان محطة المجاري في المجمع تعاني من عدم الصيانة وتشتغل لساعتين في الاسبوع فقط لعدم توفر (الكاز) ولتقادم عمر المحطة وعطلاتها الكثيرة.

ولم يبخل علينا سكان المجمع بحكاية عن هذه المحطة فقد عمد النظام السابق الى (استلاف!) مضخة من المضختين اللتين في المحطة من اجل مشروع (نهر القائد) السيء الصيت.

الوقت الذي كانت فيه هذه المحطة تعاني تدني الكفاءة وطفح المجاري في المجمع.المنظر الاخير كان للبالكونات الحديدية الساقطة من الشقق بسبب التقادم وعدم الصيانة وبسبب الرطوبة مرة اخرى.شخصياً لو كانت لي شقة في هذا المجمع لبعتها فوراً وبأبخس الاثمان، ولبحثت عن دائرة (رسمية) مهجورة او ارض متروكة لبناء بيت بثمن الشقة، فبعد (جهاد ونضال) هؤلاء الناس في المجمع وطرقهم لكل الابواب (الرسمية لحل ازمتهم المستعصية) مالذي يفعله تحقيق صحفي لن تقرأه امانة بغداد حتماً ولا الدوائر المعنية ولابلدية يحمل اسمها يوماً لتغيير يبدو انها لم تسمع به ولعلها تعتقد انها مازالت في العهد المباد.ولكن.. عل وعسى.

-مراجعة المواطنين لامانة بغداد وبلدية ٩ نيسان والدوائر المعنية أوصلتهم الى اليأس من حل لأزماتهم المستعصية!

تحت الضوء

الأشكال الأخرى للإرهاب

عامر القيسي

الصورة التي في ذهن الناس عن الارهاب لاتتعدى في غالب الاحوال صورة الملثم والبندقية والتفجيرات التي لاهدف لها سوى تدمير هذا البلد وحرمانه من وارداته الاقتصادية وافشال التجربة السياسية والديمقراطية الجديدة فيه، ومايترتب على هذا الفعل من انعكاسات اقتصادية واجتماعية اخلاقية، ارتبطت مفردة الارهاب حصراً بهذه الصورة، وغابت عن ذهننا صوره الاخرى التي لاتقل نتائجها الكارثية عن نتائج الفعل الارهابي بصورته الكلاسيكية المتعارف عليها.

-فماذا بشأن اشكال الارهاب الاخرى؟

قد يبدو السؤال غريباً بعض الشيء لكن الحقيقة غير ذلك، فالشعب العراقي لايزال يعاني اشكالاً عديدة للارهاب، قسم منها، نتاج المرحلة السابقة والقسم الاخر افرزته الاوضاع الجديدة في البلاد.

لنأخذ الفساد الاداري مثلاً الذي بتتدئ حلقاته في دوائر الدولة من موظف الاستعلامات ولانعرف الى أين تنتهي؟ ولاتفوت المواطن يومياً، قراءة فضيحة مالية في هذه الوزارة او تلك حتى ترسخت لدى المواطن قناعة، بأنه لن يسمع جواباً لالقاء تحيته على موظف الدولة دون ان يدفع مبلغاً لقاء ذلك!! واصبحت هذه السلوكيات والفضائح تحدث علناً من دون اي رادع مهني اوقانوني او اخلاقي، والامثلة لايمكن حصرها، ذلك انها بدون مبالغة اصبحت واحدة من حقائق عمل مؤسسات الدولة، ورائحة هذا الفساد (الارهاب) تزكم الانوف ويجري كل ذلك مع سبق الاصرار والترصد. في احدى الوزارات مثلاً، تم التعاقد على شراء مكائن لاحدى دوائرها بمليونين ونصف المليون وبالدولار الامريكي، وقدمت اللجنة الفنية تقريرها بعدم صلاحية هذه المكائن، التي لا يمكن الاستفادة منها كلياً لكن وكيل الوزير اصر على استيرادها، وحسب معلومات خاصة، فان هذه المكائن، ثبت عطلها وبكل كفاءة مع اول استخدام لها، وزارة اخرى لايصحو مفتشها العام من نومه الا وقد وجد امامه ملفات عديدة متخمة بالادلة والبراهين على اشكال من الفساد والرشوة. دائرة اخرى لايتم اعادة المفصول سياسياً اليها الا بخمسمائة دولار والقائمة تطول.

الارهاب الاعلامي مثل آخر للممارسات التي ترهبنا دون ان نسميها، وندرجها دائماً تحت خطة الحرية الفضفاضة التي اضعنا الكثير من سبل ممارستها الحضارية السليمة واذا استثنينا الفضائيات العربية فلسنا بأصحاب دالة على من يضع برامجها الاعلامية فان الكثير من صحفنا ومحطاتنا الفضائية العراقية الاسم، يسوق الينا كل ساعة افعال الارهاب الاجرامية بايحاءات بطولية او تبريرية في اقل تقدير، ويمتنع حتى عن تسميتها بالصفة التي تليق بها، ولاأعلم كيف يفسر نشر بيان مع مخطوف مع تهديد بالذبح، دون تسمية هذا العمل بالإرهاب مثلاً، وتارة اخرى تطلق على افعال ارهابية مشابهة تسميات العمل المسلح، او المتمردين، المقاتلين العرب أو المتسللين الاجانب.. الخ: اليس إرهاباً نفسياً إشباع المواطن، بالإعلام المتشائم، الذي لايكف لحظة واحدة الحديث عن الحرب الاهلية المحتملة والصراع الطائفي المزعوم!!

والكثير من اشكال الارهاب الفاعل وغير المنظور نعيشه يومياً هو خارج سياق الارهاب الذي تعارفنا عليه، اننا بحاجة الى دراسة نفسية معمقة لمثل هذا الموضوع والخروج باستنتاجات تساعدنا على فك بعض قيود هذا التنوع الارهابي، بدلاً من ان تواصل الهرولة كل لحظة وراء اخبار الموت والذبح والسيارات المفخخة.

وبكل وضوح اقول: نحن بحاجة الى عمل شامل متكامل لمحاربة الارهاب بجميع صوره حتى نستطيع ان نخطو بالاتجاه الصحيح ونحو الهدف الصحيح.